

وفي الثالث «النطفة» لم يك شيئاً مذكوراً يحق ذكره كإنسان، أو يليق بالذكر لمكان قذارة النطفة، مهما كان مقدراً في طريقه إلى التكامل، ومكوناً كخطوة أولى من كينونته فقد «كان شيئاً ولم يكن مذكوراً»<sup>(١)</sup> «كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق»<sup>(٢)</sup> (٣) أو «كان شيئاً مقدراً لَمَّا قَدَّرَ من نطفة أمشاج ولَمَّا يكون إنساناً!

وقد تعني الآية كل هذه الثلاث، على اختلاف دلالاتها، على أن الخلق المعاد أهون عليه، ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ إذ خلقنا أوّل خلق - وإذ خلقنا الإنسان الأوّل - وإذ خلقنا النطفة ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ - أم شيئاً مقدراً لخلق الإنسان كسيرة مستمرة مثل النطفة - أم شيئاً مذكوراً مهما كان نطفة!، وإن كان ﴿شَيْئًا﴾ في سياق النفي تستأصل كلّ شيءية كما في الخلق الأوّل، ولكنها تتحمل نفي الشيء الإنساني كالأخيرين، ضمن أصل الشيء كالأوّل، وقد تؤيده ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾<sup>(٤)</sup> وبرهان المماثلة الأولوية يثبت إمكانية المعاد، وبرهان العقل العدل والنقل يثبتان معه ضرورته!

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾ (٦٨) ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾ (٦٩) ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا﴾ (٧٠):

- (١) تفسير العياشي عن زرارة سأل الباقر عليه السلام عن الآية فقال: . . وفيه عن عبد الأعلى مولى آل سام عن الصادق عليه السلام مثله.
- (٢) عن سعيد الحذاء عن الباقر عليه السلام: . . .
- (٣) الكافي بإسناده عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام سئل عن قوله تعالى: ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ فقال: لا مقدراً ولا مكوناً وسئل عن قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنِىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الْدَهْرِ . . .﴾ [الإنسان: ١] قال: كان مقدراً غير مذكور.
- (٤) سورة مريم، الآية: ٩.

﴿فَوَرِيكَ﴾ تحمل برهاني العدل والنقل، فربوبيته تعالى ولا سيما الرسالية المحمدية تقتضي الحشر والجزاء، فلولا الحشر لبطلت الربوبية الحكيمة العادلة وبطلت الرسالة المحمدية وما دونها، فليس القَسَم هنا إلاّ بأدلّ دليل على ضرورة المعاد، وقد تمت البراهين الأربعة: إمكانية بالأولوية، وضرورة بأصل الربوبية العادلة - ضرورة أخرى بالربوبية الرسالية المحمدية فلولا الحشر لبطلت - والرابع هو النقل الحامل لهذه الثلاث!

ترى ومن هم الشياطين المحشورون معهم؟ إنهم ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾<sup>(١)</sup> وهم ﴿أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾<sup>(٣)</sup> :

هم دركات كما الشياطين دركات وقد تربو شيطاناتهم على شياطينهم أو هم على سواء أم دون ذلك طرائق قديماً، والله يحشرهم وإياهم من أجداتهم :  
﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ : بروكاً على رُكْبِهِمْ ذلاً وانكساراً، وإجماعاً حولها كالتراب والحجارة ترذلاً وانحساراً<sup>(٤)</sup> والثاني يعني الأول تضمناً، فهم إذاً حول جهنم ناظرين حكم أحكم الحاكمين، فإذا اذاركوا حولها جميعاً ركاماً بعضهم على بعض ننزع منهم صلاء الجحيم ووقودها، التي يتقد بها ويحرق سائر أهل الجحيم :

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا﴾ : : هنالك أئمة

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

(٤) الأول أصله فعول جمع جائي وهو البارك على ركبتيه - والثاني عن ابن عباس أنه جمع جثوة وهو المجتمع من التراب والحجارة. وقد يناسبه ما أخرجه عبد الدين أحمد في زوائد الزهد والبيهقي في البعث عن عبد الله بن باباه قال: قال رسول الله ﷺ: كأي أراكم بالكوم دون جهنم جاثين.

الضلالة وأشياعهم، ولا يختص وقود النار بالأصلاء بل ومن الفروع ﴿من كل شيعَةٍ﴾ لننزعن للوقود ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِنِيًّا﴾ تمرداً وعصيانياً، لنجعل وقوداً على وقود فنركمه جميعاً، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ والصلي مصدر صلي: الوَقود، فمن الوقود ما هو في أصول الجحيم، وهو أولى بها صلياً، ومنه ما هو في سائر الجحيم وهو دون ذلك صلياً: ﴿وَأَوْلِيَّتِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup> ثم لا وقود إلا من يتقد من فروع الضلالة:

صحيح أنها ﴿لَا يَصْلَهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ﴾<sup>(١٥)</sup> الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾<sup>(٢)</sup> ولكنما الوقود أن هما الأشقى بالنسبة لسائر الأشقياء مهما كان الأولون هم أولى بها صلياً، فنزع الأشد على الرحمن عتياً ليس لأصل الدخول في الجحيم حيث هي مكان العاتين أجمعين، فليس النزاع إلا لصلاء الجحيم، ولكن ليسوا في صلاتهم سواء ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾! فهناك وليٌّ للصلي وهنالك أولى لها!

وآيات الصلي كلها شاهدة على أنها لا تعني مجرد الدخول في النار ولا سيما آية الأشقى فإنها تحصر صليها بالأشقى، فلو أنه الدخول فغير الأشقى إذاً - لا يدخلها!

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾<sup>(٧١)</sup> ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾<sup>(٧٢)</sup>:

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ خطاب صارم لكافة المكلفين من الجنة والناس أجمعين، فلا يختص بأصحاب الجحيم إذ ليس منهم المتقون الناجون من الواردين<sup>(٣)</sup>

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٢) سورة الليل، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٣) الدر المنثور ٤: ٢٨٢ أخرج ابن سعد وأحمد وهناد وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري والطبراني وابن مردويه عن أم مبشر قالت: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل =

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ دخولاً فإنه نصّ فيه، لا مروراً أم قرباً مهماً عنياً من الورد بقرينة وكما يروى عن الرسول ﷺ «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت لإبراهيم عليه السلام حتى أن النار ضجيجاً من بردهم ﴿ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾<sup>(١)</sup> :

إنهم يرونها على سواء «ثم يصدرن عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم في رحله كشد الرجل ثم كمشيه»<sup>(٢)</sup> وأحاديث المرور تطرح أم تأوّل لمخالفتها القرآن والسنة<sup>(٣)</sup> :

ف «واردها» و ﴿ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ و ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ شهود صدق على الدخول مهما كان عذاباً أو رحمة، فلا عذاب في مرورها، ولا يذر الظالمين مارين عليها، وإنما هو الورد للجنة والناس أجمعين :

= النار أحد شهد بدرًا والحديبية قالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ إِلَّا وَارِدُهَا ﴿مَرِيَمَ: [٧١]؟ قال ﷺ: ألم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مَرِيَمَ: ٧٢]؟ وفيه عنه ﷺ قال: من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعاً لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم فإن الله يقول: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ إِلَّا وَارِدُهَا ﴿[مَرِيَمَ: ٧١].

(١) الدر المنثور ٤: ٢٨٠ أخرج أحمد وعبد بن حميد والحكيم والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورد فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم: يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له فقال: وأهوى بإصبعيه إلى أذنيه - صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يبقى . . .

(٢) المصدر أخرج أحمد وابن أبي حاتم وابن الأنباري والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وابن مردويه عن ابن مسعود في الآية قال: قال رسول الله ﷺ: يرد الناس كلهم النار ثم يصدرن . . .

(٣) مثل ما في الدر المنثور - أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ إِلَّا وَارِدُهَا ﴿ يقول: مجتاز فيها.

أقول لم يقل مجتاز بها - بل - فيها، مما يدل على الورد، فبعض يردّها ورود الاجتياز كالمقربين وآخرون يصدرن عنها بأعمالهم ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مَرِيَمَ: ٧٢].

﴿... وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(١)</sup> و(٣٢: ١٣) ملءٌ دون استثناء، وإنما يستثنى، المتقون عن عذابها دون ورودها وملئها!:

.. وقد تلمح ﴿وَأَرِدُهَا﴾ دون «يردها» إضافة إلى حتمية الورد باسم الفاعل، إلى انسلاخ ذلك الورد عن الزمان فقد يشمل مثلث الزمان يوم الدنيا والبرزخ والقيامة، ف ﴿وَأَرِدُهَا﴾ مثلث الجحيم فالدنيا بشهواتها ولهواتها جحيم كما البرزخ والقيامة نتيجة لها، ولكنما الذين اتقوا منجّون عنها، عن بواعثها يوم الدنيا حيث يتقون موجبات النار، وعن كوارثها في برزخها يوم البرزخ وعن نار الخلود يوم الخلود، إذاً فهنالكَ مثلث للورد، مهما كان فيما سوى الأخير ورود الاجتياز لفترة قصرت كما الدنيا أم طالت كما البرزخ، ومن ثم ورود في مختلف درجاته أو دركاته بمختلف الاستحقاقات والتخلفات!

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ ف «ربك» وهو في أعلى درجات الربوبية يورد كلاً في الجحيم الأخرى كما أوردهم في الأولى، ثم ينجي كلاً هناك كما نجى «بالتقوى» هنا، ولكي يرى المتقون سجن المتمردين فتكون لهم حظوة، ويرى المتمردون المتقين فتكون عليهم حسرة، وهذه قضية الربوبية القمة ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ المحتومة بما حلف: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>! فقد كتب على نفسه عموم الورد في الجحيم بربوبيته كما ﴿كُنَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾<sup>(٣)</sup> ومن الجمع الرحمة قضية الربوبية الجمع في الجحيم!

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ والفترة الاستفادة من «ثم» درجات حسب درجات

(١) سورة هود، الآية: ١١٩.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

التقوى كما سبق عن الرسول ﷺ «فأولهم» كلمح البرق - وهو منهم - وآخرهم كمشية، وهم آخر من ينجى مهما بقي ردحاً فيها، وإن كثيراً كالخالدين غير الأبدن فيها، ف «ثم» تعم اللّمة إلى الخلود غير الدائب! ولكن:

﴿وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ قد تخرج المعذبين في النار عن المتقين وهذا هو الحق، وبقاء الظالمين يشمل بعد المشية إلى الخلود وإلى الأبد، فلا تعني «ثم» إلا اللّمة إلى المشية، ثم الباقي هم الظالمون على دركاتهم! ويا ويلنا ونحن كلنا واردوها وهذا يقين، ومن هذا الذي يخرج منها وليس إلا شكاً بعد يقين، اللهم إلا ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ولا تنقض اليقين بالشك بل انقضه بيقين مثله، وكما يروى عن الرسول ﷺ: «فقد علمت أني وارد النار ولا أدري كيف الصدور بعد الورود»<sup>(١)</sup>.

ولقد أثرت هذه الآية في أصحاب الرسول ﷺ أثراً بالغاً يدهشهم ف «إذا التقوا يقول الرجل لصاحبه هل أتاك إنك وارد؟ فيقول: نعم! فيقول: هل أتاك إنك خارج؟ فيقول: لا فيقول: ففيم الضحك؟<sup>(٢)</sup> أجل وإن يقين ورود النار لا يقطعه إلا يقين التقوى المنجية عن النار، وقد بينها الله في كتابه المبين، ونحن

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٨٢ - أخرج أبو نعيم في الحلية عن عروة بن الزبير قال: لما أراد ابن رواحة الخروج إلى أرض مؤتة من الشام أتاه المسلمون يودعونه فبكى فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباية لكم ولكني سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية . . . فقد علمت . . . وفيه أخرج ابن المبارك وأحمد في الزاهد وابن عساكر عن بكر بن عبد الله المزني قال: لما نزلت هذه الآية ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى فجاءت المرأة فبكت وجاءت الخادمة فبكت وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون فلما انقطعت عبرتهم قال: يا أهلاه! ما الذي أبكاكم؟ قالوا: لا ندري ولكن رأيناك بكيت فبكينا قال: إنه أنزلت على رسول الله ﷺ آية ينبئني فيها ربي تبارك وتعالى إنني وارد النار ولم ينبئني إنني صادر عنها فذاك الذي أبكاني.

(٢) الدر المنثور ٤ : ٢٨٢ - أخرج ابن أبي شيبة عن الحسن قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا . . .

كلنا - إلا المعصومين - سوف نردها، وهل ننجو منها؟ الله أعلم! إذ لا ندري هل تختم عاقبة أمرنا بالتقوى فنموت أتقياء، أم دون ذلك، فعلينا إذاً الجهاد الدائب في التقوى مستعيزين بالله من كلّ شيطان رجيم!

ولا تُناحر آيةُ ورود آيةِ الإبعاد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾<sup>(١)</sup> بل وتناظرها، حيث الإبعاد ليس إلا بعد الورد أو القرب، وآية الورد تبعدهم عنها بعد الورد، ف﴿ثُمَّ نُجِى﴾ تعني ما تعنيه ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ - ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> لا يحزنهم الفزع الأكبر وننقلهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم تُوعدون ﴿١٠٣﴾<sup>(٢)</sup>:

تتلقاهم الملائكة إلى الجنة حين ينجون ويبعدون عن النار، دون أن يسمعوا حسيستها، ودون أن يحزنهم الجحيم، بل وقد يفرحون بما رأوا سجن المتمردين رحمة على رحمة، وكما هي على أهل النار عذاب فوق العذاب! فالنار إذاً للمتقين خامدة<sup>(٣)</sup> مهما كانت لأهلها محرقة اللهم إلا حيناً كلمحة، وهنالك جثو حول جهنم للظالمين وجثو آخر فيها لهم وأين جثو من جثو:

إن الذين هم أول المقذوفين في الجحيم يردون تصلية للجحيم، من أئمة الضلالة ومن كل شيعة هم أشد على الرحمن عتياً، وطليلة الصادرين من كل الواردين هم الرسول ﷺ وأئمة الهدى وسائر النبيين من المقربين وطائفة من أصحاب اليمين، وبينهما متوسطون من الصادرين والباقيين:

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠١.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

(٣) تفسير الفخر الرازي ج ٢ ص ٢٤٤ عن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: إذا دخل أهل الجنة الجنة فقال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا بأن نرد النار فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة.

وترى لماذا غير الظالمين يردونها حتى يُنَجَّوا منها؟ إن ورودهم فيها لهم حظوة رحمة حيث يرون سجن الظالمين مبتهجين أنهم لم يردوها معذبين فإنها لهم برد وسلام وللظالمين حرق وإيلام! :

وقد يتحدث المسيح ﷺ فيما ينقله برنابا الحواري عن هذا الورود

العام:

(أجاب يسوع: «يتحتم على كل أحد أياً كان أن يذهب إلى الجحيم (٨) بيد أن ما لا مشاحة فيه أن الأطهار وأنبياء الله إنما يذهبون إلى هناك ليشاهدوا لا ليكابدوا عقاباً أما الأبرار فإنهم لا يكابدون إلا الخوف (١٠) وماذا أقول لكم؟ أفيدكم أنه حتى رسول الله يذهب إلى هناك ليشاهد عدل الله (١١) فترتعد ثمة الجحيم لحضوره (١٢) وبما أنه ذو جسد بشري يرفع العقاب عن كل ذي جسد بشري من المقضي عليهم بالعقاب فيمكث بلا مكابدة عقاب مدة إقامة رسول الله لمشاهدة الجحيم (١٣) ولكنه لا يقيم هناك إلا طرفة عين (١٤) وإنما يفعل الله هذا ليعرف كل مخلوق أنه نال نفعاً من رسول الله (١٥) ومتى ذهب إلى هناك ولولت الشياطين وحاولت الاختباء تحت الجمر المتقيد قائلاً بعضهم لبعض: اهربوا فإن عدونا محمد قد أتى (إنجيل برنابا ١٢٦ : ٧ - ١٥):

ثم في الآيات ١٧ - ٢١ - تصريحات أن من مات على دين محمد ﷺ فمصيره إلى الجنة وإن كابد العقوبة للأعمال السيئة وترك الصالحات فإنه بالمآل ينتقل إلى الجنة بدعاء محمد ﷺ وإن عذب في نار البرزخ والقيامة كما يستحق:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلِمَ دِدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلِيغَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ :

هرطقة نكراء وطنطنة خواء في قولة هراء من الذين كفروا للذين آمنوا في حوار دائبة بتراء تضللهم أو تقلل من إيمانهم، ولكنما المؤمن حق الإيمان لا يتزعزع بهذه الزلازل، فالمؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف!

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ لا يتفهمونها وهم يسمعون، مبتهجين ومتبجحين بالقيم المادية الفانية قائلين: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ منا الكافرين ومنكم المؤمنين ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: قياماً في هذه الحياة بوسائلها المتوفرة لدى

الناشطين، وقواماً فيها، ومكاناً لكل قيام وقوام، فمن هو خير في مثلث ﴿قِيَمًا﴾ «ثم» ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: نادياً لتنادى الشورى ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾<sup>(١)</sup> في مصالحي الحياة! ونادياً لكل أنس والإتيان بمختلف الشهوات ﴿وَتَأْتُونَكَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٢)</sup>؟

إنهم يرونهم في نوادي فخمة ومجامع مترفة بكل ترف وفي كل طرف، وإلى جنبهم تلك النوادي المتواضعة والمنتديات الفقيرة، دون أبهة ولا زينة وكبرياء فيتقولون لهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ وإذا الإيمان بالله يعجز عن إصلاح الحياة الحاضرة فهو عن إصلاح المستقبلية - لو كانت - أعجز!

ومن هؤلاء سادة من قريش، قادة الكفر - كالنضر بن الحارث وعمرو ابن هشام والوليد بن المغيرة وأبي جهل وأبي لهب وإخوانهم المترفين وجاه سادة الإيمان، كبلال وعمار وخباب وأضرابهم من المؤمنين المعدمين فـ ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ...﴾؟ ذلك! رغم أنها حكمة الله في صراط الحق أن تظل العقيدة الصادقة مجردة من الجواذب المادية زينة وطلاء وإغرائاً، ليقبل عليها من يريد لها خالصة لحقها دون زخارفها، ويدبر عنها من يبتغي زينة الحياة الدنيا.

هنا يأتي جواباً واقعياً غابراً عن ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ لمحة إلى مصارع الغابرين:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئًا ﴿٧٤﴾﴾:

إن القرون الهالكة المالكة هي أكثر مما يملكون و﴿أَحْسَنُ أَثْنًا﴾ الظاهرة، بأحسن منهم مظهراً ﴿وَرِئًا﴾ إنها ليست قلة منسية، فعاد ﴿وَتَمُودَ﴾

(١) سورة العلق، الآية: ١٧.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٩.